في مفهوم الشركة الكنسية
(١٢)
أعضاء جسد المسيح
العلمانيون والإكليروس[١]

❖✚❖

الكنيسة ليْست الأسقف فقط، ولا القس فقط، ولا العلْمانيِّين فقط. إنَّها الأسقف والكاهن، والعلمانيِّين يعْملون في تناغُم، كجسدٍ واحد: **«نَحْنُ عَامِلَانِ مَعَ اللهِ»** (١كو ٣: ٩). الإكليروس والعَلمانيُّون معًا يكوِّنان جسد المسيح، الكنيسة[٢].

يقول القدِّيس بطرس لكلِّ المسيحيِّين، العَلمانيِّين والإكليروس إنهم على قدم المساواة فيقول: **«أَنْتُمْ فَجِنْسٌ مُخْتَارٌ، وَكَهَنُوتٌ مُلُوكِيٌّ»** (١بط ٢: ٩). ويقول القدِّيس بولس: **«لأَنَّ كُلَّكُمُ الَّذِينَ اعْتَمَدْتُمْ بِالْمَسِيحِ قَدْ لَبِسْتُمُ الْمَسِيحَ»** (غل ٣: ٢٧). بعْد المعْموديَّة، نحن نُمْسَح بالزَّيْت المقدَّس، أي أنَّنا نُنَصَّب ونُسام في: "الكهنوت الملوكي الذي للمؤْمنين"، لنعْمل مع الأساقفة والكهنة كجسد واحد في خَدَمات الكنيسة المتنوِّعة.

ويشرح الأب ألكساندر شميمن Fr. Alexander Schmemann هذا الكلام بقوله:

"مسحة الميرون تُعطِي القوَّة الإيجابيَّة والنِّعمة للمسيحيِّين ليتصرَّفوا كمسيحيِّين، وليبنوا معًا كنيسة الله، وليكونوا مسؤولين مشاركين في حياة الكنيسة. في هذا السِّر، نحن نصلِّي ليكون المعمَّد الجديد "عُضوًا مكرَّمًا في كنيسة الله، إناءً مكرَّسًا، ابنًا للنُّور، وارثًا لملكوت السَّموات"، حتَّى "يحفظ موهبة الرُّوح القُدُس، ويزداد في قياس النِّعمة المسلَّمة له، فينال جعالة دعوته العليا، ويُعدَّ مع الأبكار الذين أسماؤهم في السَّماء"".

ويستمرُّ ليقول إنَّ العَلمانيِّين يتشاركون فعلًا مع الكاهن في إقامة القدَّاس:

"العَلمانيُّون بطريقة مباشرة جدًّا هم الخدَّام المشاركون للكاهن، فيما الأخير يقدِّم لله صلوات الكنيسة، حيث يمثِّل كلَّ الشَّعب، ويتكلَّم عنهم. هناك توضيح واحد يبيِّن المُشاركة

---

(١) عن كتاب بعنوان:

Anthony M. Coniaris, *The Eye Cannot Say to the Hand "I Have No Need of You"* Light and Life, 2005.

(2) Alexander Schmemann, *Clergy and Laity in the Orthodox Church.* Published by Schmemann. Org.

في الاحتفال بخدمة القدَّاس يُمكن أن يفيد، وهو كلمة "آمين"، والتي نستخدمها في الصَّلاة، ولكنَّنا لا ننتبه إليها كثيرًا، مع أنَّها كلمة حاسمة وقاطعة. لا صلاة، لا ذبيحة، لا شُكر أو بركة تُعطَى في الكنيسة بدون أن تتقدَّس بكلمة "آمين"، والتي تَعني: موافقة، استحسان، رضا، مشاركة. أن تقول "آمين" لأيِّ شيء، فهذا يعني أنَّك تجعله خاصًّا بك، بما معناه: "أُعطي رضائي عنه"؛ وكلمة "آمين" في الحقيقة هي كلمة العَلمانيِّين في الكنيسة، والتي تُعبِّر عن وظيفة وعمل العَلمانيِّين كشعب الله، والجماعة الكنسية بقولها "آمين" تتقبَّل بسرور ورضا التَّقدمة الإلهيَّة، وتقدِّسها وتصدِّق عليها برضا. في الواقع، لا توجد خدمة ولا قدَّاس بدون: "آمين" مِن أولئك الذين قد عيِّنوا وأُقيموا ليخدموا الله كجماعة، ككنيسة"[٣].

أمَّا المطران يوحنا زيزيولاس مطران برغاموس Metropolitan John (Zizioulas) of Pergamon فيلاحظ أنَّ:

"يُنَصَّب ويُقام الأسقف على كنيسة معيَّنة ليكون رأسها ومركز وحدتها. في ممارسة خدمته، هو: "الواحد one" الذي برغم ذلك لا يمكنه أن يتخيَّل أو يعتقد أو يظنَّ شيئًا بدون: "الكثيرين many"، الذين هم جماعته. الأسقف هو الرَّأس، ولكن كما أنَّ وضعه وصفته يكونان بواسطة: "الجسد"، فلا يمكنه أن يمارس سلطانه إلَّا في شركة مع المؤمنين، وكما أنَّه لا يمكنه أن يمارس الإفخارستيَّا بدون اجتماع synaxis شعبه، فإنَّ خدمته كلّها تحتاج إلى إجماع الـ "آمين" مِن الجماعة، والعكس بالمِثل صحيح، لا توجد جماعة بدون رأس، الذي هو الأسقف، ولا يمكن أن يُعمل شيء بدونه"[٤].

الرِّئاسة الكنسيَّة والجمعيَّة

هذا يوضِّح أنَّ الكنيسة الأرثوذكسيَّة ليست قائمة فقط على الرئاسة الكهنوتيَّة، بل هي أيضًا مجمعية conciliar، حيث يلتقي الاثنان معًا كجسد المسيح، ويقرِّران مواضيع الإيمان والحياة في مجامع تحت إرشاد الرُّوح القُدُس. يجب أن يُلاحظ أنَّ قرارات مثل هذه المجامع، يُمكن، وقد حدث، أن رُفِضَت في الماضي بإجماع الكنيسة، والتي كانت تضُم العلمانيِّين.

البروفيسور لويس باتسافوس Professor Lewis J. Patsavos أستاذ القانون الكنسي يشرح معنى:

---

(3) Alexander Schmemann, *Clergy and Laity in the Orthodox Church.*

(4) *Sourozh*, Spring 2001.

"مجمعيَّة conciliar" فيقول:

"كون الكنيسة مقامة على "رئاسة كهنوتيَّة Hierarchical" يعني أنَّها مُقامة مِن الأساقفة، وبالتَّالي، فإنَّ كنيستنا مُقامة مِن الأساقفة في شركة مع بعضهم البعض، ويتشاركون السُّلطة والحوار عندما يجتمعون في مجمع. كنيستنا هي أيضًا كنيسة "مجمعيَّة conciliar" والتي يمارس فيها الأساقفة السُّلطة باسم مجمعهم synod. ولكن: "المجمعيَّة conciliarity" مع ذلك هي ليست وقفًا على الأساقفة فقط، وهي تظهر في كلِّ عمل مُشترك بين رئيس الأساقفة والأساقفة، وبين الأسقف والكهنة، وبين الكاهن ورعايا الإيبارشيَّة، وبين رعايا الإيبارشيَّة وبعضهم البعض. الحوار يعكس هذا المفهوم عن الكنيسة أنَّها مجمعيَّة conciliar".

وحيث أنَّ الكنسية مجمعية conciliar، فهي إذن قائمة على مجامع كنسية synodal، أي أنَّ الرُّؤساء الدينيين hierarchs يتقابلون في محامع synods ليقرِّروا الشؤون الكنسيَّة، ومع ذلك فنفوذهم ليس مُطلقًا، فكل أسقف يصوِّت في عمليَّة تُعتبر ديموقراطيَّة لحدٍّ بعيد.

الأب ثيؤودور Fr. Theodore Stylianopoulos يكتب ويقول إنَّ الكنيسة الأرثوذكسيَّة هي كنيسة "ترفض الإكليروسيَّة (فَرض نفوذ الإكليروس على الشَّعب)، كما ترفض أن يكون لكلِّ رعيَّة استقلالها العقيدي والتَّدبيري (نفوذ الشَّعب). الرِّعاية تكون بواسطة رئاسة كهنوتيَّة يُحدِّدها النِّظام المجمعي conciliarity and the synodical system. الكنيسة تحيا بتآزر المواهب والوزنات سواء الخاصَّة برجال الإكليروس أو العامة بالشَّعب أي العَلمانيِّين، لأنَّهما يكوِّنان معًا شعب الله، داعمين بعضهم البعض، ومسؤولين عن بعضهم البعض، وممثِّلين ضمير الكنيسة وحرَّاسًا للإيمان. الحياة المجمعيَّة conciliarity لها هذا العُمق والمعنى والأهميَّة في الأرثوذكسيَّة، حتى جعلت الكثير من اللَّاهوتيِّين الأرثوذكس يربطونها بحياة الله كثالوث مقدَّس. فكما أنَّ في حياة الله، الآب والابن والرُّوح القُدُس يوجد سُكنَى مُشتَرَكة، وشركة، وحُبّ كامل، هكذا أيضًا في حياة الكنيسة، يجب أن يوجد بذل سخي للذَّات، وتَشَارك كامل، وخدمة مُتبادلة مُتشاركة تعكس حضور وضياء الثَّالوث القدُّوس"(٥).

(5) Theodore Stylianopoulos, *The Way of Christ.* Holy Cross Orthodox Press. Brookline, MA 2002.

لا بدَّ أنَّ هذا هو ما دفع المطران أنتوني بلوم Metropolitan Anthony Bloom أن يقول ذات مرَّة: "إنَّ المجمعيَّة conciliarity هي **دقَّات قلب الحياة في الرُّوح القُدُس"**.

الرُّوح القُدُس لم يؤسِّس فقط الكرسي الأسقفي والكهنة، ولكن بالأساس وبالأكثر الكهنوت الملوكي للمؤمنين، والاثنان معًا يكوِّنان الكنيسة؛ ليس فقط الأساقفة، ليس فقط الكهنة، ليس فقط العَلمانيِّين، ولكن شركة Koinonia الجسد الكامل للمسيح، والمُرشَد بالرُّوح القُدُس المقيم فيه.

يكتب الأب شميمن أنَّه في الكنيسة:

"لا توجد طاعة عمياء، كما لا توجد ديموقراطيَّة، ولكن قبول بطيب خاطر وبفرح لِمَا هو حق، نبيل، بنَّاء، وموصِّل للحبِّ الإلهي والخلاص".

ماذا يحدث عندما يُخطئ الأُسقف؟

طرح الدكتور شارل Dr. Charles T. Lelon في محاضرة رائعة منذ سنوات السُّؤال:

"ولكن عندما يُخطئ الأسقف، إلى أين نتوجَّه لنميِّز الإيمان الحقيقي؟ ببساطة، نذهب إلى أسقف آخَر. لا زالت الأسقفيَّة هي التي تعلِّم الإيمان، ولكن لاهوت التَّعليم المُشترك في الكنيسة وسياستها لا يسمح لأسقف واحد أن يحدِّد الإيمان، فلا بدَّ أن يتشاور مع الأساقفة القريبين. القانون الرابع لمجمع نيقية يحدِّد أنَّ تكريس الأساقفة يحتاج إلى ثلاثة أساقفة آخَرين على الأقل، والأفضل جميع أساقفة المقاطعة أو الإقليم، وحتَّى أثناء تكريس الأسقف، فإنَّ الرُّوح القُدُس لا ينتقل مِن أسقف إلى الآخَر، ولكن الرُّوح القُدُس ينتقل مِن كثيرين إلى واحد: «لأَنَّهُ حَيْثُمَا اجْتَمَعَ اثْنَانِ أَوْ ثَلاَثَةٌ بِاسْمِي فَهُنَاكَ أَكُونُ فِي وَسْطِهِمْ» (مت ١٨: ٢٠) الطبيعة المجمعيَّة The conciliar or synodical nature للكنيسة الأرثوذكسيَّة، تشكِّل واحدة مِن توجُّهاتها الأكثر لَفتًا للنَّظر. لا يوجد أسقف واحد، كما هو في تقليد الكنيسة الرومانيَّة، يُمكنه أن يمارس السُّلطة على الكنيسة كلّها، وجميع الأساقفة متساوون في خدمة التَّعليم. الأصحاح الخامس عشر في سفر أعمال الرُّسُل هو إثبات واضح للأساس الرَّسولي للاتِّحاد المجمعي conciliar لتعريف العقيدة في وجه الأزمات. لمدَّة ألفين سنة، الكنيسة تعوِّل على المجامع councils لتحدِّد وتُعلِن الإيمان".

(يتبع)